هوية اللاهوت والمجاورة الفلسفية جدل التكامل والتباعد

أ.م.د. احمد عبدالسادة زوير
كلية الامام الكاظم (ع) للعلوم الاسلامية الجامعة

The Identity of Theology and Philosophical Proximity: Integration and Divergence Dispute

Asst. Prof. Dr Ahmed Abdsada Zuwayer
Imam Al-Kadhum University College for Islamic Sciences

ABSTRACT

The paper centres around the nature of the relationship between theology as a science dealing with divine topics and philosophy which represented a culture coming from Greece and had precedence in history in dealing with the most important question of metaphysics-opposing nature-(God). It is also concerned with how Christianity thinkers used the outcome of their predecessors' knowledge in forming anthology of theology leading to the determination of the identity of this important field by showing interest in reading the proximity between the two, and bringing about the discovery of integration and divergence dispute in formulating the identity of the new field-theology-after relying on knowing the tools leading to the epistemological ends.

Thus, the paper aims to determine the nature of identity formation of theology according to a cycle of dispute tagged with caution and mimetism through a group of texts written by great Christian thinkers who constituted the centralization of origins in the formation of Christian thought identity.

المستخلص :

يتمحور موضوع البحث في دراسة طبيعة علاقة اللاهوت – بوصف اللاهوت علمًا يتناول المواضيع الإلهية– بعلم الفلسفة التي مثلت ثقافة وافدة من اليونان وسابقة تاريخه في التعامل مع السؤال الأهم وهو الميتافيزيقا –المفارق للطبيعة (الله)– وكيف تعامل مفكرو المسيحية مع

Article history
Received: 14/8/2023
Accepted: 23/8/2023
Published: 30/9/2023

تواريخ البحث
تاريخ الاستلام:14/8/2023
تاريخ القبول:23/8/2023
تاريخ النشر:30/9/2023

الكلمات المفتاحية: (اللاهوت، الدين الطبيعي، اللاهوت الطبيعي، الفلسفة المسيحية)

Key words (theology, natural religion, natural theology, (Christian philosophy

© 2023 THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

Corresponding author:
islamicthought.lecturer@alkadhum-col.edu.iq

DOI:
https://doi.org/10.61710/tf8k4x68

نتائج المعرفة لمن سبقهم في تشكيل انطولوجيا اللاهوت، وصولا إلى تحديد هوية هذا الحقل المهم من حيث اهتمامها بقراءة المجاورة بين الاثنين، والافضاء إلى كشف جدل التكامل والتباعد في صياغة هوية الحقل الجديد –اللاهوت– بعد الاعتماد على معرفة الأدوات الموصلة إلى الغايات المعرفية. وعلى هذا فالبحث يتقصدُ تحديد طبيعة هوية تشكّل اللاهوت وفق دائرة من الجدل الموسوم بالحذر والتماهي عبر مجموعة من نصوص كبار مفكري المسيحية المشكلين لمركزية المنابع في تكون هوية الفكر المسيحي.

المقدمة

يمثل بَيان تحليل الأنظمة المعرفية في جميع الدراسات ولاسيما الدينية منها صعوبة تواجه الدارسين إذ يبدون تجاهها مواقف متعددة تتوزع بين القبول أو الامتناع عن الخوض في حقل معين، وزاد من تلك المواقف اشتراك مَن لا يدين بعقيدتهم حتى وأنَّ سبقوا مجيء المسيحية بحجة ضلال عقولهم بالعلوم المزيفة والمضلِّلة عن حقيقة المسيح وتعاليمه.

وفي حقل الدراسات (الثيولوجيا) تظهر المواقف مرة في صورة صراع، وأخرى في شكل تكامل(اتمام)، فضلا عمّن يراها متمايزة باحثاً عن القواسم المشتركة بحسب التمظهرات والعقبات التي تواجه المتتبع، فنجد مفكري المسيحية منهم من مزج بين قبول الفكر اليوناني والتعاليم المسيحية، ومنهم من أعلن الرفض لذلك، واختار آخرون قبوله بشكل جزئي محدد فاقتصروا على (المنهج) دون النتائج، أو الأدوات بوصفها موصلة للغايات، بل إنَّ بعض الأحكام يُفهم منها الميل الأيديولوجي (الموقف الحازم) في رسم توجه رؤيته وأبعادها، وإن تشابهت في الغايات، الا أنَّ وسائله تعبر عن تحديد فهم الأول الذي يعدّ قراءته هي الحقيقة التي لا غبار عليها وإنَّ مناهج الآخرين قد يعتريها الفساد؛ نظرا لفساد مقدماتها القائمة على خديعة العقل والحس والتجربة.

إنَّ إشكالية تعاطي المسيحية مع الفلسفة أوجد بعمق خنجراً مرسوماً عليه الصليب كان موجهاً لاغتيال أفكار مَن سبقهم من الأمم باستثناء اليهودية، فالجميع بنظرهم (أمم وثنية)، لابدّ من طمسهم لاسيما في مرحلة الاضطهاد المسيحي في القرون الأولى، فإعلان الحقيقة هو في حقيقته استعمال لسلطة الوحي في رفض الأمم، وهذه الرواية لم تكن الوحيدة من المواقف المتعددة في مقابل القبول، بيد أنَّ مَن رأى علوم الامم الوثنية (اليونان) وجدَ فيها جوانب من الحقيقة لا يمكن التغافل أو التغاضي عنها،

وهذا ما يبرر مواقف أكثر الرافضين للتراث الذي سبقهم (الوثني) بالتأثر والانقياد مع الاعلان الرسمي، كما فعل ترتليان بتأثره بالرواقيين، في مقابل من يرى أنَّ سقراط وافلاطون وغيرهم انبياء كالنبي موسى، فبالنظر إلى أنَّ أفكارهم تتضمن كثيراً من الجوانب الطيبة والمواقف المقبولة، لهذا ستتناول هذه الدراسة تحديد طبيعة العلاقة والتعاطي مع الأمم التي سبقت المسيحية (الفلسفة اليونانية) مبينة النماذج التي قد شكلناها بحسب الوظيفة، والمعرفة، والغايات، بناءً على سعة التعاطي والتغاضي وفق جدل التكامل والتباعد بين الفلسفة واللاهوت المسيحي.

التمهيد

إنَّ عملية التفكير بالإيمان في الفكر المسيحي تسجّل تطورا تاريخيا مستمرا يؤسس لمجموعة من الإجابات المميزة لتأصيل شمولي بغيته الوصول لمُحددات أكثر اكتمالاً في بناء أسس معرفية موثوقة، وهذا متأتي من كون هذه الإجابات تلعب دوراً مهماً في استيعاب تطابق قدرة ذهن الإنسان لتغطية مساحة التساؤل والبحث في تقابل السؤال والجواب، وهو نفسه إلاعتراف الذي يواجه ما يطلق عليه بالإيمان المسيحي، لكن أغلب من ينتمي إلى المسيحيّة يشيرون إلى وجود إشكالية في تكوينه، اذا ينظرون إلى كون الإيمان المسيحي غير عقلاني، أو بعبارة أخرى غير مبرر (طفولي) وليس منطقيا وبذلك لا يصل معرفيا إلى حدّ التغلغل في الأعماق , مالم نجد مبررات عقلية للاعتماد في بلورة نسق عقديّ مقبول النتائج، وهذا الذي دفع الكثير من أباء الكنيسة وهم مثقفو القرون الأولى الذين حاولوا التوفيق بين تشكيلهم الفكري "الوثني" إيمانهم. فكانت مهمتهم الدفاع عن الدين الجديد، ولذلك ردّوا إلى الوثنية اتهامات الكفر واللامعقولية البربرية التي كانت تتهم بها المسيحية، وبذلوا جهداً في بيان أنَّ الفلسفة تدرج بوصفها وحياً جزئياً في إشارة إلى افلاطون الذي كان ملهماً الهياً إلى الوحي المسيحي (لاغريه، 1993، ص29)، فالبحث في متون المسيحي (اللاهوت) يثير العديد من الأسئلة الفلسفية المعقدة، منها اعتقادهم واصرارهم على عبادة إله واحد، لكنهم في الوقت ذاته يؤمنون بأقانيم[*] مختلفة

* يعد ترتليان أعظم إسهاماته لعلم اللاهوت، إذا جاءت بعض صياغاته وتعريفاته دقيقة للغاية لدرجة أنَّها أدخلت ضمن مصطلحات الكنسية وتستعمل منذ ذاك الحين، وكان أول من استعمل كلمة "ثالوث Trinitas" في الحديث عن الأقانيم الإلهية الثلاثة، وفي شرحه لعقيدة الثالوث، أو يتحدث عن ثالوث متحد إلهي: الأب والابن والروح القدس، وفي كتابه ضد براكسيس يقدم أوضح تعبير عن الثالوث، فيشرح التوافق بين التثليث والتوحيد في اللاهوت مؤكدًا على وحدانية الجوهر

عدديا، (الثالوث الهية كاملة، الأب والابن وروح القدس) (تورانس، 2017، ص295)، وقد نواجه صعوبة في تفسير كيف إنَّ ثلاثة أقانيم يصلون إلى خالق واحد[**] ، كذلك الحال في أنَّ يسوع الناصريّ الإنسان هو أحد الاقانيم الثلاثة أيضا، أيّ "الابن" في عقيدة الثالوث الالهي، وهنا كيف يمكن تفسير إنسان يولد ويعيش ويموت ومن ثم يصبح كائناً الهياً متكاملا، ولم ينتهِ السؤال هنا أمام التفسير الفلسفيّ، بل تجاوزه وصولا إلى العلاقة بين العناية الالهية وحرية الإنسان (إرادة الإختيار) نحو سؤال هل البشر أحرار في قبول الإيمان أو رفضه أم الأمر متعلق وحده بالإله؟ وهو الذي يقرر القبول والرفض؟

إنَّ الإجابة عن هذه الأسئلة أو غيرها سيواجها الكثير من التفسيرات الفلسفية المحددة على مستوى المسؤولية والحرية ومستوى المسؤولية الاخلاقية.

بواكير الفكر المسيحي تسجل اهتماما ملحوظا بالأجوبة الفلسفية على مثل تلك التساؤلات التي امتدت من القرن الثاني ميلادي إلى القرن السابع المعروف بعصر آباء الكنيسة، وبذلك واجه رجالات الكنيسة الناشئة المدافعون هذه المهمة الكبيرة، والمضنية في تحديد العقائد في مواجهة العقبات الداخلية والخارجية، والغريب في ذلك إنَّ الآباء لم ينتبهوا أنَّهم لاهوتيون على عكس الفلاسفة في الواقع، وفي الحقيقة أنَّهم لا يفرقوا أو يميزوا بشكل قاطع وواضح بين الفلسفة واللاهوت مطلقا، كونهم كانوا يبحثون في مهمتهم الشاقة بحسب المصطلح المتداول (الفلسفة المسيحية في قبال الفلسفة الوثنية) آنذاك لعالم البحر الابيض المتوسط القديم (وهو يمثل أو يقابل مصطلح الفلسفة الافلاطونية والارسطية والرواقية وشيء من المدارس الأخرى) (عطيتو،1992، ص266-299).

للأقانيم الثلاثة، فالابن "من جوهر الأَب"، والروح القدس هو "من الأَب"، وهكذا يقول ترتليان "إنني أؤكد دومًا أنَّ هناك جوهراً واحداً للثلاثة المتحدين معًا".

وهو أول من استعمل كلمة "أقنوم Persona" ويقول عن اللوغوس إنَّه "آخر" غير "الأَب" بمعنى الأقنوم وليس من حيث الجوهر، لأجل التمايز وليس لأجل الانفصال"، كما يستعمل كلمة " أقنوم" في حديثه عن الروح القدس الذي يسميه "الأقنوم الثالث". للمزيد يراجع: جورج، أثناسيوس فهمي، العلامة ترتليان، من آباء أفريقيا، ترجمة وإعداد: أنطون فهمي جورج، مطبعة الأنبا رويس (الأوفست)، ط1، القاهرة، 1994، ص67-68

** وقد ربط القديس اثناسيوس معرفة الله عن طريق الابن ولا آخر سواه ولذلك يقول " وعندما نرى الابن فإننا نرى الأَب، لان ما نفهمه وندركه عن الابن يكون هو هو ما (يمكن ان) تعرف عن الأَب، لان الابن هو المولود الذاتي من جوهر الآب. تورانس، توماس.ف، الإيمان بالثالوث، ص297

نجحت الكنيسة الأولى في تأسيس إطارها الفكري الخاص بها، حينما أعلنت حدودها الرسمية وعقائدها بواسطة سلسلة من المجامع المسكونية (صمويل، 2022) الذي أعلنه الارثوذكسية الثالوث وإيمانهم بالتجسيد، ولم يتوقف المفكرون المسيحيون بل استمروا في مواجهة الأسئلة الفلسفية والهرطقات باستعمال أفضل الطرق الفلسفية بغية التمسك بالمعقولية الارثوذكسية المسيحية، والإجابة عن الاعتراضات التي تواجهها الارثوذكسية المسيحية وبوجه خاص خلال العصور الميتافيزيقية الوسطى التي تبنت التحليل من قبل مفكريها الذين لجأوا إلى الفهم المنطقي من أجل تفسير الإشكالية المنطقية للثالوث،(كيف يمكن أن يكون الاله في ثلاثة اقانيم وهو واحد)؟ بواسطة الرأي الذي ينصب على عدم وجود إله في الواقع؟ أو أنَّ الرب ليس ثالوثا؟ أو أنَّ اقنومي الأب والابن يمثلان الحياة الزمنية للإله الواحد، فاستبعدت هذه التفسيرات النظرية من قبل الفلسفة المسيحية بحكم التزامهم الأرثوذكسي(تلش،2012، ص78)، وبقي الاختلاف في نقاط قائمة بين الجماعات المسيحية المختلفة في تحديد الرأي الدقيق في المسائل المرتبطة بالواقع، فالمسيحيون الكاثوليك والبروتستانت يقبلون قيودا متعددة ومختلفة في مسألة القربان المقدس وكذا الحال عند البروتستانتية التي لن تقبل عن بعضها البعض بطريقة مماثلة، إلا بوصفها مسألة شكلية بينما اللاهوتيون المسيحيون الذين يفكرون بطريقة فلسفية في العقائد المسيحية فإنَّهم يناقشون الكثير من المسائل داخل الإطار الفكري بغية توفير رأي ومناخ موثوق به، وهذا ما دفع إلى الاعتراف بأنّ من يفكر بشكل فلسفي حول المسيحية عليه أن يتقبل أنَّ المسيحية هي الفلسفة الحقيقية "يجب ان يقبل الارثوذكسية المسيحية" كما عبر يوستينوس أن:((الفلسفة الوحيدة المؤكدة والمفيدة))(يوستينوس،2012، ص145)، لكن هذا المعنى الذي يعد الاكثر نسبية لـ(حقيقة المسيحية) الارثوذكسية مايزال بعض المفكرين المعاصرين يُصرون عليه مع رفضهم فكرة الارثوذكسية كمعيار حتى الذين يدعون عدم إيمانهم بما تقدم الا انهم يناقشون الأفكار المسيحية التي تُعَّد حجر الأساس وفي نفس الوقت قابلة للنقاش بالطريقة الفلسفية كمعتقدات بل وضعت للتحليل الفلسفي للاهوت، وكذلك في سياق فلسفة الدين التحليلية (كميليف، بلا ت، ص207).

وبناءً على التصور المشترك لنمطي التفكير، فإنَّ مناقشة مسألة الفلسفة واللاهوت المسيحي في مضمار السير يشكل اتجاهات مختلفة في تحديد هوية كلّ منهم ومدى استيعاب الآخر وتقبله، وما هي

الفائدة التي يستحقها المفكر في تحديد هوية الحفاظ على النمط من المسائل بالاشتراك مع دوافع الارثوذكسية المسيحية المكونة للذات الغربية والثقافة المركزية المسيحية (إبراهيم، 2003، ص36)

إنَّ مناقشة الجهود التي قُدّمت من جميع الاتجاهات المختلفة بالمنهج وكيف ارتبطت الفلسفة واللاهوت؟ وبيان أهم الطرق في تحديد العلاقة بينهما عبر التاريخ التقليدي ومن ثَمَّ بيان المناقشات المعاصرة عن طريقة التفاعل في البناء التحليلي لبنية الفكر المسيحي.

إنَّ النظر إلى تأسيس الفكر الحديث الذي ارتبط بالجهد البشري يُعلن فصلاً حاداً بين الفلسفة واللاهوت، لكن التميز الواضح بينهما يعد مرحلة أولية في أصل وجوده مشكلة، ألا إنَّنا سننطلق من الفلسفة بمعناها المتداول وهو استعمال العقل البشري لفهم السمات الأساسية للواقع، بعبارة بسيطة وكذا الحال في تقديم علم اللاهوت بما هو متداول يكون دراسة الله وكلّ الأَشياء التي تتعلق به، فضلا عن المساحة المشترك بين هذين الحقلين من التفكير والتداخل في الرؤية والغاية، فاذا افترضنا ثَمَّ اله هناك بالتأكيد فإنَّه بالضرورة يُمثل السمات الواقعية للفكرة الموجودة المراد السؤال عنها، وما هو الافتراض ومميزاته، وما ميزات هذا الافتراض؟(الدومينكاني، 2016، ص70–72) (مارسيل،1988، ص106)

أوّلاً: طبيعة العلاقة وتحديد الهوية المعرفية

حينما نسترجع تاريخ الفكر المسيحي نجد تداخلاً من الصعب بيان حدوده وفكّه بين الفلسفة واللاهوت وبوجه خاص في موضوعات البحث الخاصة بهما، فضلاً عن طرح مجموعة من الأسئلة الخاصة بالدين من الفلاسفة ورجال الدين عن الوجود ومعرفته والكون والسياسة وما هو خارج من الواقع المتمثل بالبعد الغيبي، فكان منهجهم وأسلوبهم في البحث هو تفسير النصوص الموثوقة ونشر الادلة وترتيب الحجج لدعم نتائجهم، وقد يفترض البعض أنَّ نتائج اللاهوتيين المسيحيين قائمة على أساس سلطة الإيمان وأثرها في النفس بفعل البعد الروحي، في حين أنَّ الفلسفة تنطلق من سلطة العقل (عادل،2008، ص32–33)، وهذا المائز يتمّ تطويره بشكل دقيق، إذ يستدعي اللاهوت أيضا الفطرة السليمة والإيمان أو السلطة، بينما تستدعي الفلسفة صياغة خاصة بالعقل، وإنَّ صناعة نماذج نهائية وأحكام تامة أمر يحتاج إلى دراسة بعض الطرائق الأكثر شيوعا التي استوعبها المفكرون المسيحيون على مَّر المراحل التاريخية لتحديد علاقة الفلسفة واللاهوت، ومن دون هذه الخلفيات التاريخية لانستطيع إلّا

أن نرسم صورة عن العلاقة بطريقة ساذجة، والسؤال الأهم هل نجد صورة واحدة عن طبيعة العلاقة من قبل التقليد المسيحي، بل سوف نجد كثيراً من المفكرين غير المسيحيين الذين يرون أنَّ الفلسفة واللاهوت أنهما مختلفان تماما، وعلى الجانب الآخر هناك من يطمس التمايز بينهما اعتقاد منهم بأنَّ اللاهوت في الواقع مجرد فلسفة مضلِّلة عن المسيح(*).

إنَّ صناعة المتخّيل لدى مجموعة من العلماء في تحديد شكل العلاقة وطبيعتها من حيث (الاتمام والتمايز) أظهر لنا وجهتين رئيسيتين، الأولى وجهة النظر التكاملية بين الفلسفة واللاهوت، والثانية وجهة التناقض والتباعد بينهما، وبذلك يمكن رفع الغموض عن نموذج التمايز وبوساطة وجهات التأزرية بخلاف النموذج الانشطاري ووجهة النظر الجدلية.

إنَّ تعامل أبرز وجهات النظر (التأزر) مع الفلسفة كأداة ذي قيمة جعلها ضرورية في البحث اللاهوتي، فالعلاقة ما تزال تسمح بدرجة كبيرة من التداخل بين الاثنين، وبالضد من ذلك فإنّ وجهات النظر الداعية إلى الانشطار عن الفلسفة كانت بمثابة أشكال غير جديرة بالبحث لكونه تتميز بأهداف وأساليب متعددة وغير مترابطة في النهاية، بينما تعاملت وجهات الجدل مع الفلسفة واللاهوت كونهما غير متمايزتين، بل متعارضتين بنحو متبادل في الواقع، ومع ذلك فإنَّ قليلاً من المفكرين المسيحيين كانت لهم وجهات نظر في الجدل الواضح والمعلن بين الفلسفة واللاهوت، إلا إنَّ الأَمر في أصله يستحق الخوض بشمولية واحاطة لمعرفة أَساس الجدل الدائر في أروقة اللاهوتيين المسيحيين البارزين عبر التاريخ من قبيل ترتليان (مديوني، 2018، ص97)، ومارتن لوثر، وكارل بارث، وبول تلش (أبو العلا، 1997، ص11)، الذين أظهروا دفاعا عن الصراع في بداياتهم، والمفارقة التي تسجل هنا أنّ الفحص المتأني يكشف أنّ آراءَهم قريبة من وجهة الانشطار، وهذا واضحٌ من تتبع المسار التحليلي لمتونهم، وأنَّ هذا التواجد المعرفي المزدحم ناتج عن إيمانهم الخاص بتعدد القراءة للمسيحية اتجاه الفلسفة وتفاعلها مع اللاهوت، بخلاف الفلاسفة غير المؤمنين المسيحيين الذين أمنوا بعقائدها الكتابية الخاصة والإيمان

* بينما كلمنضس السكندري يمتدح كثيرًا مفكري اليونان، واعّد تعاليمهم كالناموس عند اليهود، كذلك الفلاسفة الوثنيين، بينما يؤمن ترتليان على العكس من ذلك وليس هناك أي شيء مشترك بين الفلسفة والإيمان: (ما علاقة أثينا بأورشليم؟ أي اتفاق بين الأكاديمية وبين الكنيسة؟ أو بين الهراطقة والمسيحيين؟) يراجع: جورج، أثناسيوس فهمي، العلامة ترتليان، من آباء أفريقيا، ص107

القانوني الذي أقرّ من قبل المجامع المسكونية بما اوجد كثيراً من الخيارات المتاحة للتفكير بها، بدلا من الجدل الذي يظهر بعنوان الإيمان والعقل.

ثانيا: الاتمام

حتى نستعمل مصطلحاً بدل آخر من الضرورة أن نقف معرفياً عند حدود ذلك المصطلح ثُمَّ نُبين عدم قدرة المصطلح لحمل دلالة الموضوع المراد، وبعد ذلك نفصل في سبب ايراد المصطلح الجديد، اتخذت العلاقة بين الفلسفة واللاهوت نماذج متعددة، منها نموذج التكامل، الذي يرى أنَّ الفلسفة مكملة للاهوت والعكس صحيح، لكنَّ مصطلح الاتمام أكثر اتساقا من التكامل وذلك لأنَّ نوع العلاقة هنا بين الفلسفة واللاهوت تعني نشاطاً مستمراً بينهما، يتمم الأول الآخر، أو لا تشكل الفلسفة نشاطاً منفصلاً عن اللاهوت، بل هو تصور قائم على محاولة فهم الله أو الإيمان وما يتعلق به باستعمال القدرات البشرية الطبيعية، علماً إنَّ هذه الرؤية لا تنكر الوحي وما يترتب عليه من إيمان في العقيدة المسيحية، وإنَّ تحديد هوية هذه العلاقة لا تفصل الإيمان والوحي الذي ينتمي إلى نشاط منفصل، يطلق عليه علم اللاهوت فيه تمييز عن نشاط آخر يسمى الفلسفة، وبناء على هذه الرؤية، حينما ندخل في النشاط العقلاني من أيّ نوع فهو ناظر إلى الاستفادة من كلّ مصادر المعرفة المتاحة ذات صلة بالنشاط الموصل إلى الغايات، وحينما نناقش بصورة عقلانية موضوعاً معيناً ذا صلة باللاهوت المسيحي، يجب الاستفادة من الكتاب المقدس والرسائل الرسولية وكذلك تقاليد الكنيسة وقوانيّن المجامع، وكل ما له صلة بالتعليم المقدس وغيره من مصادر المعرفة سواء كنا منطلقين من التساؤل الناتج من علم اللاهوت ام الفلسفة أو أَيّ شيء آخر، أو القيام بشيء يخالف ذلك يُعّد عرقلة، لا صلة للسؤال وفقا لفرضية الاتمام، فيكون هذا التصور عن هوية علاقة الفلسفة واللاهوت منطلقاً من جذر عميق، في التقليد المسيحي قبل ظهور التعليم في القرون الوسطى، بل إنَّ هذه الرؤية السائدة وما يزال بعض اللاهوتيين المعاصرين مدافعين عنها، وأن نأتي على ذكرهم في السياق إذ لم يصف آباء الكنيسة الاوائل عملهم الفكري في هذا السياق على أنه لاهوت بل كانوا يجدونه فلسفة" ((إنَّ الفلسفة هي بالتأكيد أغلى ما يمتلك المرء، ولها قيمتها الكبيرة في نظر الله لأنّها تقودنا إليه وتجعلنا نتحد به، والذين يستخدمون الفلسفة هم بالحقيقة من القديسين)) (يوستينوس،2012، ص135) فمصطلح الفلسفة هنا ليس مرادفاً للثيولوجيا في تصورهم

بحسب الدلالة المعاصرة للاهوت، بل إنَّهم كانوا شديدي الابتعاد عن هذا الاصطلاح بسبب النقد الافلاطوني الذي انتقل من اليونان (الهيليني) اذ كان ذا دلالة اسطورية بأسلوب شعري عن الالهة، وكان أيضاً مرتبطا بصورة عامة بسرد القصص الوثنية وصناعة الاساطير الخاصة باللاهوتيين –الشعراء– الأكثر شهرة في اليونان، وهم هوميروس وهوزيود، وهذا ما يؤكده يوستينوس بقوله: مَن هم معلميكم في هكذا نوع من التفكير–الدين– ((هل هم الشعراء؟ بالتأكيد أنتم لن تستطيعوا أَن تقروا بذلك أمام أناس يعرفون من هم الشعراء، وذلك لأنّهم يعرفون ما يعتقده الشعراء من آراء سخيفة بالنسبة لأصل الآلهة. خذوا على سبيل المثال هوميروس الشهير أمير الشعراء..... إن الآلهة نبعت من المياه)) (يوستينوس،2012، ص229–230)، وهذا ما يفسر أنَّ مفكر مسيحي مثل غريغوريوس النزينزي حصل على اللقب الشرفي (اللاهوتي) لحسن قدرته الشعرية في خطابه الذي دافع به عن الثالوث، وليس عن موضوعات عقائدية مسيحية (بسترس، 2001، ص517)، وإنَّ المصطلح الذي شاع بين مفكري القرون الأُولى المسيحية في وصف عملهم آنذاك كان في أغلب الاحيان مجرد فلسفة أو اذ اعدتها المسيحية هي الفلسفة الحقيقية على المدارس الفلسفية الزائفة أو الوثنية المرتبطة بالفكر السابق على المسيحية (يوستينوس، 2012، ص138)، وهذا التصور للفكر المسيحي كان سائدا في العصر اليوناني والروماني، لأنَّ المسيحية كفلسفة منهج شامل للحياة ونستطيع تشبيهها كمدرسة فلسفية، وإنَّ نظرية الإتمام في هذا الحساب بقت جارية في تحديد العلاقة بين الفلسفة واللاهوت في أَوائل العصور الوسطى، قبيل ظهور الفلسفة المدرسية في الجامعات الغربية الكبرى، ولم يكن التمييز واضحاً بين الفلسفة واللاهوت. وصولا إلى الذي كان يناقش باستعمال العقل وحده من دون الرجوع إلى الوحي، لكنه لا يسمي مناقشاته بمصطلح الفلسفة تمييزا عن اللاهوت فهو ينتقل من بين التفكير العقلاني وايراد الحجج ومن ثم ينتقل إلى الدعاة والقوانين الخاصة بالنعمة الالهية ((إن الحكمة تملى على الاتقياء والفلاسفة)) (يوستينوس، 2012، ص28) وإنَّ نمو المسيحية مرتبط بالأدلة العقلانية، فكلّ ما زادت الفضيلة صار من الممكن التفكير بطريقة أكثر عقلانية في الله، وهذه الفضيلة" السعادة" المسيحية اعطت مائزاً على تطوير التفكير على المستويين الفلسفي بصورة التمام أو الإتمام.

ثالثاً: التمايز

تأتي هذه السمة كمقابل للسمة الماضية، فبينما انشغلت الأولى بعدم تحديث هوية الحقل المعرفي بالنسبة للثقافة المسيحية الخاصة بالعقيدة والتفرقة بينها وبين الفلسفة، جاءت الثانية لتعلن النموذج المتمايز، الذي يظهر التباين الواضح على أنَّ الفلسفة واللاهوت يعدان شكلين مختلفين في إطار البحث. وربما نستطيع أن نقف عند مراحل متنوعة في هذا النموذج الذي وسمناه بالتمايز من حيث التعاطي والتفاعل في درجة تمايز،(التأزر، الانشطار، الجدل) والذي نجدهُ في مرحلة التأزر أنَّ العلاقة بين الفلسفة واللاهوت متقاربة لا سيما حين يجتمعان بصورة دقيقة، بمعنى أنَّ التمايز هنا يصبح من اجل التأزر ويستفيد منه بقدر واسع، وفي المحصلة لا يحصل أَي تعارض ملحوظ في موضوعات البحث ولا حتى في المرجعيات البحث (المصادر) لا بل يبقى الاسلوب واحداً في هذا النموذج، لأنه قائم لخدمة التمايز بدرجة التأزر، وإن ظهر من هنا وهناك شيء من التمايز بين هذين الحقلين(غريش،2020،ج1،ص124)، الا أن التأزر يظهر بشكل جزئي على أساس العناصر المتمايزة، (الفلسفة واللاهوت) كون كلّ حقل سوف ينطلق من نقطة فكرية مختلفة، وان هذا الانطلاق سيفرض اختلاف المصادر الموصلة إلى الأدلة أَيضا فتظهر التمايز وإنَّ كان بشكل جزئي وبسيط، وبالإمكان أَن نطرح فرضية مفادها: إنَّ هذا النموذج المتمثل بكون الفلسفة واللاهوت متباعدين بشكل أَكثر مع أنهما ما يزالان غير متعارضين، بل انهما يخوضان في الموضوعات نفسها بالمعنى الأَخص، وهنا فإنَّ الفرضية تعتمد على الأَسلوب الذي يُسجّل عدم الاشتراك في ايّ استنتاج بعدم الهوية الأبرز لأيّ مجال من الفلسفة واللاهوت، وفي النهاية فإن روايات الجدل تُؤشر أنَّ اللاهوت المسيحي في كثير من الموضوعات يُعدُّ غير منطقي بحسب التفكير الفلسفي، وعلى الرغم من أنَّ الكثير من مفكري المسيحية يؤدون – بوساطة هذه النظرة –الجدل المتصارع كون المخيلة الشعبية تؤكد وجود فجوة كبيرة بين مجالي الفلسفة واللاهوت[*] لاسيما في إشكالية الإيمان والعقل، لذا افتُرض وجود مدافعين عن هذين الحقلين في الجدل

* يذكر طرابيشي موقف الرسول بولص، وكان واضح العداء للفلسفة. فهو لم يكتف بتحذير المسيحيين منها بل أعلن الاستغناء عن الحاجة إلى الحكمة البشرية (بعدما بزغت، على جناح الرسالة المسيحية، الحكمة الإلهية... ولئن حسب أحدكم نفسه حكيماً ليوم الدينونة هذا العالم، فليعمل على أن يكون مجنوناً كيما يصير حكيماً، إذْ حكمة هذه الدنيا هي جنون أمام حكمة الله، رسالة بولص إلى أهل قولوس ك 2 ف9).

وبعد بولس جاء ترتليانس، ليواصل مهمة الدفاع عن (صحيح الإيمان) المسيحي والهجوم على الفلسفة ويدافع عن الحكمة الإلهية، إذ جعل المسيحيون الأوائل الأنبياءَ في مواجهة مباشرة مع الفلاسفة. بل أن ترتليانس اتهم الفلاسفة بأنهم انتحلوا حكمة الأنبياء ثم حرفوها وشوهوها ومن ثمَّ حكم على (تاريخ الفلسفة) بأنه ليس تاريخ تقدم بل (تاريخ انحطاط)! ثمَّ تراجع

التقليدي وبصورة مستمرة عبر التاريخ[**]، فالتمايز وفق هذه الرؤية او المخطط الذي اجترحناه في تصنيف آلالية التي حددنا بوساطتها نظام العلاقة قد نصل إلى التمايز، والجدير بالذكر هنا إنَّ الفلسفة واللاهوت هما نشاط فكري متباين، إلاّ إنَّهما يحققان مجالاً متوازيًا يقوم على الاعانة والاستعانة، فالمفكر المسيحي الذي نجده يدافع عن نظرية التمايز إن جاز لنا ان نطلق عليها وحدة (مترابطة وداعمة للأخرة)، فان العلاقة تحكم بعدم التعارض، بمعنى أنَّ النتائج لديهم لا تتعارض مع الحقيقة، الا ان التعارض يكون فقط في البديهيات أو ما نسميه المنطلقات الإيمانية المؤسسة من حقيقة غير قابلة للجدل، (بديهيات التأسيسية) (سلامة،2022، ص40) في اطار الإيمان، وكذلك الأهداف التي يسعى من أجلها المفكر المسيحي والمصادر اليقينية (الكتاب المقدس، أعمال الرسل و قوانين الإيمان)

بل إنَّ الكثير من المفكرين المسيحيين جعلوا الفلسفة مقدمة لعلم اللاهوت[*] وفي المحصلة يصبح اللاهوت مرحلة متقدمة من الفلسفة كما فعل توما الاكويني في الاستعانة بالفلسفة لإنتاج ما يسميه بالتعليم المقدس، الذي يمثل لديه المرحلة الأعلى من النتائج القائمة على المسلمات اليقينية (الوحي) وبراهين منطقية وفلسفية بالاستعانة بالفلسفة الإلهية، وتصبح بذلك فلسفة اللاهوت أو الأسس المعرفية المؤسسة للاهوت هي أعلى مراحل التفكير النظري في منظومة اللاهوت الفلسفي أو ما يعرف بميتافيزيقيا وأسس المعرفة اللاهوتية (الاكويني،2019، ج1، ص12).

1- التأزر

مستوى النقد المسيحي للفلسفة أكثر، ودخل بعض رجال الدين مرحلة التشويه والنيل من كرامة الفلاسفة وآدميتهم. فأُلِفت الكشاكيل الحاوية للنكات والنوادر الجارحة بحقهم، فقد ألف يوستينوس كتاباً سخر وتهكم فيه من الفلاسفة اليونانيين وصورهم كأنهم ضفادع وجناة يجمعون بين سوء الخِلقة وسوء الخُلق، من ذلك مثلاً ما قاله عن أفلاطون وكيف بِيعَ بَيْعَ العبيد لأنه شره، واتهم أرسطو بالغباء وتملق الإسكندر المقدوني، أما ديوجانوس، فقال عنه إنه أكل أخطبوطاً نيئاً ومات ببطنته وشرهه للطعام، واتهم الفيلسوف أرستيس بأنه كان يتعاطى الفجور والفسق تحت قناع الوقار. ينظر طرابيشي جورج، مصائر الفلسفة، دار الساقي، ط1، بيروت، 1998، ص33-34

** يظهر هذا الاحتدام في القرون الأولى بين المدافعين المسيحيين والناقدين الممثلين للثقافة اليونانية كونها اللغة الثقافية التي واجهت الدين الجديد عبر مجموعة من الفلاسفة أمثال قلسوس الابيقوري الذي اعد المسيحية تتعارض مع مبدأ العقل في كتابه " البيان الحق" ينظر المصدر السابق ص26

* وهذا ناتج مما يطلق عليها (كيلي جميس) بالثقة بملكاتنا الادراكية في المعتقدات التي تنتج من البراهين القائمة على اثبات القضايا التي تعد شهادة ادلى به العلماء في مضمار الدين على مجموعة من الاعتقادات، لكن حينما نعتمد على اجهزتنا الفكرية نكون أكثر وثوقا من الشهادات. ينظر الله والدماغ عقلانية الاعتقاد، ترجمة محمد سيد سلامة، دار الروافد الثقافية –ناشرون، ط1، بيروت، 2022، ص154

إذا جاز لنا أن نُداخل هوية العلوم بوساطة طبيعة العلاقة، ومدى ارتباط بعضها، سنجد تحولات تاريخية كون بعض هذه العلوم وحقولها مرت بمراحل من التطور والاستقلال في التغير على المستوى الوظيفة (اللسانية، المعرفية والتواصلية)، فتغير وظيفة المصطلح في العلوم وانتقالها عبر العصور وفق التحولات الوظيفية والحاجة، تترك مجالاً للمختصين والعاملين، في هذه الأنشطة في تحديد وجهة الصلة؟ وإنَّ نمط هذه العلاقة يبين الخط البياني للتحولات التي تصاحب البنية المعرفية لظهور الحقول والنماذج كمصنفات علمية، هذا ما جرى في نموذج التمايز بعنوانه الذي ارتأينا حيث نجده من باب التأزر اكثر منهُ من أيّ هوية، فالمعلوم ان الفلسفة واللاهوت اليوم يعدان انشطة فكرية مختلفة إلا إنَّه في مرحلة أو في منظومة البعض، سوف نجدها يدعمان البعض، بل أنَّ مفكري المسيحية اعدّوا الفلسفة، تعمل من أجل النتائج نفسها التي تسعى من اجلها الكنيسة المسيحية (الفلسفة المسيحية) وبذلك يكون التأزر بحسب المفكرين المسيحيين، بنيةِ متماسكة، وان الفلسفة ضامن لتصوراتهم وتعاليمهم، بل أنَّ طبيعة العلاقة وبالأخص بما يتعلق باستنتاجاتهم(الله)، كون الحقيقة لا تتعارض مع الحقائق الأخرى، لكن الاختلاف يكمن فيما يعرف بالبديهيات التأسيسية أي شهادة اللاهوت وبرهان الفلسفة، وكذا الأهداف والمصادر البراهين والحجج وبذلك قدمت الفلسفة في هذا النموذج على أنها مقدمة للعقيدة المسيحية "اللاهوت" وهذه أشارة، والنتيجة المتوقعة من نموذج التأزر بين أكثر من عمل أعلنه توما الاكويني حين جعل اللاهوت يكمل الفلسفة أو ما لا يستطيع العقل الطبيعي الوصول إليه فان اللاهوت كفيل بالوصول اليه (الاكويني،2019،ج1، ص10)، وهي الإشارة نفسها التي اعتمدها الاكويني من بولس الرسول[*] بان تعليم الفلسفة مفيد وبشكل فعال للاهوت وهو ما دفعنا إلى اطلاق نموذج التأزر، بمعنى تصبح الفلسفة خادمة للاهوت، ونجد هذا النموذج والاستعمال في اللاهوت المعاصر الذي يستعمل الأدوات نفسها والمفاهيم الفلسفية في معالجتها، وهم إذ يفرقون بين ما هو فلسفي وما هو لاهوتي كون اللاهوت قائماً على حقيقة الوحي الالهي، لكن كل من اللاهوت والفلسفة لا يستغنيان عن القدرة البشرية العقلية بعد البديهيات التي أشرنا إليها سلفا.

إنَّ حقيقة اللاهوت متوقفة على أساس الوحي[**] (اي بدون الوحي لا يوجد لاهوت مسيحي)، فعقيدة الثالوث مثلاً لا يمكن للفرد تقبلها من غير الإيمان، قال إشعياء "إن لم تؤمنوا فلن تفهموا" (سفر

* بولس الرسول "كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ اللهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ. 2 تي 3: 16.

** يذكر صاحب قاموس وبستر الوحي بانه" تأثير روح الله الفائق للطبيعة على الفكر البشري، به تأهل الأنبياء والرسل والكتبة المقدَّسون لان يقدموا الحق الإلهي بدون مزيج من الخطأ" وجاء في قاموس شامبرز عن الوحي أنه " التأثير الإلهي الذي بواسطته أُرشد كتبة الكتاب المقدَّس القديسون". نقلا من كتاب، يعقوب، حلمي القمص، مفهوم الوحي والعصمة في الكتاب المقدس، سلسلة إيمان كنيستنا 13.

إشعياء 7: 9 بحسب الترجمة السبعينية). ومن دون النصوص الارثوذكسية فضلا عن جملة العقائد المقدّمة من رجال الدين المسيحيين الذين اثبتوا صعوبة معرفة العقائد دون الوحي الذي يكشف عن أشياء تفوق قدرة الإنسان على إدراكها، ويقرر توما الاكويني عبر مشروع خاص بالتأزر أنَّ اللاهوتيين يستعملون الأدوات والمصادر المفاهيمية من الفلسفة، كي توضح كنه الوحي أي من الشهادة إلى الإثبات، وبذلك يكون اللاهوتيون مستفيدين من الفلسفة عن طريق حججهم مستعملين المنطق وصرامته في إيضاح البديهيات الصادرة من المصادر الوحيانية وإعلانها (الاكويني، 2019،ج1،ص12)، لأنَّ العقل الطبيعي (العقل الفلسفي) باستطاعته إثبات الحقائق الوحيانية بوساطة العقل الطبيعي، كون العقل من وجهة نظر الاكويني لا يتعارض مع الوحي لذلك يقرر أنَّ إثبات وجود الله نابع من العقل أكثر من الوحي (الاكويني،2019،ج1، ص28–29) (الاكويني، 2019،ص41)، وهو ما دفع اللاهوتيون في استعمال معايير فلسفية في دحض الشبهات التي تواجه علم اللاهوت، نعم ليس كل المعايير من شأنها تجيب عن العقائد الإيمانية كما ذكرنا سابقا، لذا فأنَّ اللاهوتيين يعدون المعايير الفلسفية غير قادرة عن الإجابة، لأنّ العقل مقيد بما يدركه، كما ورد في كلام الوحي عن عقيدة الثالوث فمن غير الممكن اثبات أنَّ الله في ثالوث بواسطة الحجج الفلسفية لكن يقرر أنَّ الحجج تفيد في الوضع الدفاعي في تفكيك أصل الاعتراض التي تعترض أو تدعي أنَّ مسألة الثالوث غير متماسكة منطقياً، وإنَّ أقرَّ الاكويني بالصعوبة في الرد على المعترضين الذين لا يسلمون بحقيقة الوحي فان التقييد من أجل تأديب الاعتراض باستعمال الفلسفة في حقل اللاهوت من أجل إظهار الأخير بصورة أكثر قوة واقناع، وبذلك يظهر الاعتراف البراغماتي مع الاقرار بعدم مقدرة اقناع المعارضين، ويظهر حجم التأزر الذي استفاد منه اللاهوتي من الحجج الفلسفية والأدوات في تفكيك الشبهات وعليه يكون المشروع في هذا النموذج متداخلاً ومستفيدا من الأسلوب والمنهج الفلسفي من أجل تقديم عقيدة مسيحية قوامها العقل وأصولها الوحي (تورانس، 2017، ص26–27).

2– الانشطار... الاختلاف.....بيان الحدود

يُعتمد هذا التصنيف على أساس تحديد الاختلاف في الهوية المعرفية، إذ يرى أنَّ الفلسفة واللاهوت شكلان مختلفان في البحث، وليست كالنموذج التأزري، الا أنَّ الاعتماد على هذا النموذج لا يلغي التعارض في الحقيقة، بالاستنتاجات الفلسفية بشرط أن تكون صحيحة مع نتائج اللاهوت، لكن أصحاب هذا النموذج من التصنيف ينكرون وجود رابط أو تداخل بين الفلسفة واللاهوت بتاتاً، فضلا عن أنّ انشطار الفلسفة عن اللاهوت هو الاستفادة منه كأداة لعلم اللاهوت كون كلا العلمين سلطة تعبر عن

موقفها التعليمي، فالدعوة السابقة بين تميز طبيعة المعرفة الوحيانية من جهة نظرهم غير كافية كي نميز بين الفلسفة واللاهوت، بينما أصحاب هذا التصنيف يبتعدون عن المائز بل يقفون على الفروق الأساسية المختلفة في (المنهج او الطريقة) وأنَّ أيّ تشابه أو تداول لبعض المصطلحات التي ربّما تستعمل في الفلسفة لا تعني الصلة بين هذين الحقلين، فالعقل البشري هو من يفرضها وبعضها تستعمل لكن بدلالات مختلفة من باب أنَّ هذه الاصطلاحات قد لا تنتمي أصلا إلى الفلسفة بل هويتها أَبعد من ذلك (دعآل، 2022، ص87).

وهو ما دفع الكثير من المفكرين في هذا الخطاب بالاعتماد على تأويلهم لمضمون الفلسفة واللاهوت، وإنَّ وجهة نظر(بعض المفكرين) المسيحيين أنَّ الاختلاف كونهم يرفضون أنَّ اللاهوت على خطاب افتراضي يناسب الحقيقة معتمدا على المنهج والحجج، فاللاهوت قد يكون معتمدا على شيء آخر كالشعر أو شكل من أشكال الطقوس الصلاة والعبادة والتسبيح وبذلك يكون التناقض حاداً مع الفلسفة وبالتحديد المدارس الفلسفية القديمة الارسطية ووصولا إلى الفلسفة الحديثة والمعاصرة، اذ لم يكن مع الفلسفة ربما كان الفلاسفة قد يربطونه بغيره من الحقول المعرفية كما حدث بعد ظهور الوضعية المنطقية والاعتماد على النقد (التعبيري او العاطفي)، وهذا ما يبرر وجود مؤلفات لاهوتية كالشعر عبر مسيرة الفكر المسيحي (جيلسبي، 2019، ص103).

وإنَّ تأسيس (مارتن لوثر) للمسيحية البروتستانتية رافق خطابي الاختلاف والانشطار بسبب رفضهم التوليف بين الفلسفة واللاهوت الذي ساد العصر الوسيط، فالمصلحون البروتستانتية (جون كالفن وكارل بارث) عززا الاختلاف إيماناً منهم أنَّ اللاهوت يتقّوم بسلطة الوحي ولا قدر للعقل في بلوغ مقاصد اللاهوت. (تدهندرتس، 2021، ج1، ص347).

إذ يرى لوثر أنَّ الفلسفة واللاهوت تنطلقان من منطلقات وأهداف مختلفة عن الأخرى، حيث أنَّ موضوعات الفلسفة استقصائية نابعة من العقل البشري المرتبط بالخبرة الحسية لفهم الاشياء كما هي في الواقع وفي العالم الواقعي، بينما يعد موضوعات اللاهوت بحث اخروي ابداعي يهدف إلى محاولة فهم ما يتعلق بالله، على أنَّه اللامتناهي، بينما لا يرفض لوثر أنَّ الخلق (الموجودات) صادرة من اصطلاحات

لاهوتية تستمد منظومتها من دائرة معانيها الدلالية الصادرة من الكتاب المقدس والوحي[*] (تدهندرتس، 2021، ج2، ص1293). ولا ربط اللاهوت بأَي فكرة فلسفية عن العلة القصوى أو المحرك الذي لا يتحرك، وأنَّ اجتمع إلى نهاية واحدة في تمسك الناس إلى غاية واحدة "الله". ولا يبرر أنَّ كلّ من الفلسفة ولاهوت النظر في موضوعات واحدة في البحث كما تفعل مع الإنسان إلا أَن الاختلاف يبقى في البحث منفصلاً، كما فعل لوثر في كتابه (خلاف حول الإنسان)، إنَّ الحكمة البشرية (الفلسفة)، تُعرّف الإنسان على أنَّه حيوان عاقل أو له عقل وجسد واحاسيس وبعدها يتعرف على هذا التعريف، لكن هذا التعريف يفيده في مقابلة النظرة إلى الفلسفية للإنسان بما يقدمه اللاهوت فمن كمال حكمة اللاهوت يعرف الإنسان على أنَّه مكتمل وكامل خلق في البداية على صورة الربّ (التكوين، 1: 27) ثم يخضع لقوة الشيطان والخطيئة والموت ويتحرر في الحياة الأبدية بوساطة ابن الله يسوع المسيح، إذ أَعد لوثر نظرية كوبرنيكوس في الفلك مع قولها إنَّ الأرض تدور في الأفلاك لم تكن متوافقة مع الإيمان، حينما أَراد القائد العبري يشوع (يشوع،10: 12–14) أنَّ يطيل النهار على قوات جيشه حتى يتمكنوا من اتمام نصرهم في المعركة أمر الشمس وليس الأرض أَن تقف، بمعنى آخر: الشمس هي من تتحرك على هذا النحو بحلاف نظرية كوبرنيقوس القائلة: إنَّ الشمس ثابته وكلّ الكواكب بما فيها الأرض تدور حولها(بيترسون، 2019، ص122)

وقد لا ينسجم لوثر في التفسير اللاهوتي للإنسان مع الرؤية الفلسفية، الا أنَّه لا يكمل أو يفيض عن ذلك كون الرؤية اللاهوتية غير منكشفة بحسب نظرة لوثر إلى الفلسفة، لأنَّ الخطابين مختلفان، ولم يختلف كالفن عن رؤية لوثر القائمة على الشطر بين الفلسفة واللاهوت، ويوعز كالفن السبب للخطيئة (السقوط) التي افسد قوة العقل البشري لكن هذه السقوط لم يدمر العقل بتمامه لذلك حينما تبحث الفلسفة بحد عبارة كالفن الموضوعات او الفلسفية الحقيقية اي ما يتعلق بالموضوعات الطبيعية تصبح الفلسفة لها قيمة وذات نفع لكن السقوط ابعدها عن الوصول إلى منتهى الاشياء السماوية بحسب القدرة البشرية من دون تدخل ويقصد كالفن بهذا الحصر على ما يقدمه الانجيل المنقذ من اشياء سماوية، فيقصد بها الاشياء التي تفوق قدرة الإنسان التي جاء بها الكتاب المقدس (بدوي،1424هـ،ج2،ص264)، لكن

* حيث اعد لوثر العقل " بغي الشيطان"، يجب التضحية به لكونه عدوا لله. العقل فسد بسبب الخطيئة الاولى، ومن ثم فأنه غير قادر على الوصول إلى تقدير صحيح لعلاقة الله بالإنسان.

الغريب قد يبدو كالفن قريباً من النموذج التأزري كون الاشياء الخارجية أو ما يعبر عنها السماوية قد تتيح للعقل البشري، إلا أنَّ كالفن ماز بين الفلسفة واللاهوت بحسب الطريق من حيث بعدها اللاهوت يدخل في التفكير التجريدي التأملي الذي هو منهج الفلسفة، بل يحصر المعرفة المشروعة عن الله من المنبع العملي أو الروحي "التجربة الدينية" وهو بذلك يقارب بين السيرة الخاصة بيسوع المسيح الذي تجلت له جميع الحقائق الخطيرة على المستوى العملي، إذ يفترض في اللاهوت الإيمان المسبق بالمسيح كونه استجابة عاطفية للسيد المسيح، وهذا لابد ان ينبع من القلب وتأكيده عليه[*]، وينكر كالفن على الفلسفة وبالذات المدرسية أنَّها اضاعت بسبب المتاهات غير المنتهية وحدودها غير الواضحة المعالم عن حقيقة المسيح لتخفيه، وبذلك فكلّ من لوثر وكالفن لا يؤمنان بوجود لاهوت فلسفي حقيقي، مع ذكرهم أنَّ الفلسفة بإمكانها الوصول إلى جزء من الحقائق مثل العلة الأولى، أو الوقوف على طبيعة الإنسان، إلا أنَّ هذه الحقائق لا تُعد ذات جدوى أو أهمية مما موجود في اللاهوت المسيحي عن الله الصانع وحقيقة الإنسان الداخلي، التي تفوق كلّ قدرة الفلسفة على بلوغها ((والذي ادهشنا تحت اسم الحكمة، سيُنتن بحماقته الخاصة. ومن لبس قناع القوة سيبرهن أنَّه الاضعف والأكثر تعاسه. بعبارة أخرى، ما يبدو فينا كمالاً لا يقارن بطهارة الله.))(كالفن،2017،ج1،ص52) فكلّ من لوثر وكالفن قد أطلعا على الفلسفة وبالتحديد السكولائية المتأخرة منها في العصور الوسطى، لكنهما يفهمان أنَّ اللاهوت هو نوع من لقاء لوجود الرب مع المسيح، كما يورده في الكتاب المقدس (كالفن،2017،ج1،ص53) وإنَّ أيَّ تفسيرات قد تنتج اتساعاً في الاختلاف والانشطار، لكنّ الحقيقة أنَّ الفلسفة واللاهوت لا اختلاف بينهما ولا انشطار

[*] وهذا ما اوضحه كارل بارث في تفسيره للوحي بعده توصيلاً بقضايا العقائد بصدقها عن طريق الكشف من الله عن ذاته، فيعطي للوحي طابعا شخصياً، فهم يقربونه إلى الموقف الصوفي اذا ينظرون إلى من ينزل عليه الوحي بالتجربة الحضور الالهي بصوره مباشرة، الا ان هذا الموقف يختلف عن الموقف الصوفي على نحو اساسي، لان الاخير المقدم من قبل اللاهوتيين الإصلاحيين الذين يرون الوحي متضمناً فضلاًعن اختبار الموحى اليه، الحضور الالهي على نحو مباشر اختبار كشف الله عن ذاته في اطار علاقة حوارية منشؤها الله طبعا ، بمعنى ان الوحي ليس فقط كشفاً لله عن ذاته ينتهي بالموحى اليه إلى وعي الحضور الشخصي لله على نحو مباشر، بل انه ايضا تواصل يضمن مخاطبة الله للموحى اليه واستجابات الاخير. اذن اللقاء بين الإنسان والله ضمن اطار تجربة الوحي، ليس مجرد لقاء صامت بين ذاتين، كما في التجربة الصوفية، بل لقاء قد يتخلله سماع الموحى اليه لـ(صوت) الله ناطقاً بكلمات معينة. ولكن ما هو مهم هنا هو الظهور الشخصي لله وليس الكلمات التي ينطق بها، منظورا اليها بمعزل عن هذا الحضور الشخصي. ينظر: ضاهر، عادل، الفلسفة والمسألة الدينية، ص539-540

كامل على الاطلاق، من حيث النتائج لكن تبقى مسألة النتائج وانغلاقها مرهونة أيضاً بالطريق المتبع، وبذلك يكون أصحاب هذا النموذج مؤمنين بأنَّ النص كاشف عن طريق الشعور والارتباط بالوجود الأَعظم.

3- الجدل التنازع

وقفنا بشكل لا بأس به على المواقف السابقة (التمايز، التأزر، الاختلاف) بصورة واضحة عن طبيعة هذا الجدل والتنازع الجوهري بين الفلسفة واللاهوت، جميع المواقف أو النماذج تتيح تقديم صورة من الجدل، لأسباب ربما منطقية أو تأويلية، وبالذات حينما يحيد أيَّ واحد من مجالات التفكير عن جادة الصواب، لكنهم في الوقت نفسه لا يؤكدون أنَّ اللاهوت المسيحي أو الاعتقاد المسيحي وهو غير عقلاني من جهة نظر الفلسفة الصحيحة. فتاريخ الفكر المسيح الطويل يقدم العديد من الانتقادات من الفلاسفة واللاهوتيين المسيحيين البارزين للفلسفة أو رفض ما يعدونه تجاوزا فلسفياً على الحقائق اللاهوتية في المقابل فإن قليلاً منهم من عَدّ الفلسفة واللاهوت غير متفقين جوهريا بالمعنى المراد بيانه، كما في الثقافة الشعبية الناظرة إلى أنَّ الإيمان لابدَّ أَن يغاير العقل وكل عقل فهو قابع في خندق الجدل والتنازع من الإيمان، لكن أغلب المفكرين لا نجد منظومتهم من هذا القبيل الزاعم إلى الصراع، بل هي تنظر إلى أنَّ هنالك وجه اختلاف على أقل تقدير، فتاريخ الفكر المسيحي يُظهر لنا مواقف الآباء المؤسسين الذين ينظرون إلى القدرة العقلية على أنَّها ملكة بها يفرق بين الصحيح من الخطأ، فالمعركة التي دارت في عصر الأَباء بالأساس تقوم على أساس أخلاقي (موقف تقوي) من هم داخل الكنيسة مع من خارجها ((ما علاقة أثينا بأورشليم؟ أي اتفاق بين الأكاديمية وبين الكنيسة؟ أو بين الهراطقة وبين المسيحيين؟)) (جورج، 1994، ص107)، فالفلسفة ليست المقصودة بقدر ما يتعلق الأمر بالهرطقة[*]، بل أنَّ ترتليان يُعدّ العقل البشري من أعظم عطايا الله علماً، ويذكر في كتابه شهادة النفس: ((نحتاج إلى الكثير من التحري، إلى ذاكرة واسعة وأبحاث مضنية حتى نأخذ من الكتب الاكثر استحضاراً الخاصة بالفلاسفة والشعراء أو بجهابذة العلم والحكمة الدنيوية شهادات تصب جميعها لصالح الحق المسيحي بغرض أَن يقنع هؤلاء المعارضون والمضطهدون المدفوعون بقناعاتهم الخاصة وبتناقضات داخلية وحيف

* ويذكر انه حوكم هو بدوره تحت لواء الفكر الهرطوقي

إزاءنا))(مديوني،2018،ص89–99)، إنَّ كثيراً من أفكار[**] ترتليان جاءت متأثرة بالفلسفة الرواقية في العصر الروماني(جورج، 1994، ص108) لكنه يشنّ نقداً لاذعاً للفلسفة والفلاسفة الذين حاولوا أن يخلطوا أراءهم بالآراء المسيحية بدافع الحجج التي اخترعوها بأنفسهم، والتي تمثل جوانب متعددة تتناقض مع تعاليم المسيحية، بل حتى حججهم التي نعترف بصحتها فإنها تتسم بكونها مجافية للحق، إلى أنَّ يصل بالقول: ((لا وجود للحق بين الفلاسفة، بسبب السم الذي سمموا الحق به. لذلك يتوجب علينا أن نحرر أنفسنا من الاتفاق مع الفلاسفة تحت هذه المظاهر الخداعة والتي تحطم الحقيقة في النهاية)) (ترتليانوس، 2021، ص26) وبالانتقال إلى المفارقات واللاعقلانية، يرى سورين كيركيغاد في المسيحية حالة وعلاقة استثنائية غير قابلة للفهم بوساطة العلم والمعارف الإنسانية أو الفلسفة المتأملة التجريدية، فالمسيحية هي وليدة المفارقات، لكن عن طريق القراءة المتأنية يفهم الإنسان منها ذاته باعتبار حقيقة واقعية عن طريق الإيمان، وبالضبط في هذه المفارقة أو الجدلية أو الديالكتيك يصوغ كيركيغاد تصوراً عن المسيحية كمفارقة وجودية، لأنَّها تجسد الإنسان والله في ظهور المسيح في الوجود، وهي مفارقة لا يمكن ادراكها بواسط استقراء تاريخي أو عقلي أو عبر الادلة التاريخية العيانية المباشرة، بل الإيمان الفردي(Kierkegaard,1944.p28) هو ما دفع كارل بارث إلى تفضيل الفهم الإيماني على إثبات وجود الله بالبراهين العقلية (ضاهر،2008،ص538)، ليس لأنَّه رفض البراهين الواردة في الانساق الفلسفية رفضاً منه للفلسفة بشكل عام. بل لأنه يضع نسقاً في قبول الحقائق اللاهوتية إذا ما كانت مستعملة بطريقة سليمة أو كما يخص استدلال أنسلم (البرهان الانطولوجي)، بل يسمح بإطلاق ما يعرف عليه بالفلسفة المسيحية، لكن يرفض استعمال حجج عامة بدعوة تفسيرات عقلانية لأنَّها سوف تفشل في اثبات ادعاءات اللاهوت بهذه الحجج. ويطال جميع هؤلاء العلماء المسيحيين (اللاهوتيين) البارزين على

** يذكر الدكتور إدوين إيه كوين في تقديمة لكتاب ترتليان عن النفس ((ويظهر مبرره للشروع في هذه المهمة واضحاً من البداية. أن الدفاع عن التعليم المسيحي ضد الهراطقة يتعزز أكثر بمهاجمة أساس الهرطقة؛ أي أخطاء الفلسفة؛ لأن "الفلاسفة هم بطاركة الهراطقة. وبناءً على هذا لا ينبغي أن ننتظر من ترتليانوس تنظيرًا فلسفيًا في المقام الأول، لأن هذا لم يكن السمة المهيمنة على عقله، بل إن اطلاعه الواسع في مجالات الفلسفة القديمة والدين ووظائف الجسم (الفسيولوجيا) تمتزج هنا معا وتشكّل أسلحة للدفاع عن الحق الإلهي. يصوغ ترتليانوس ردا لاهوتيا على التعاليم الوثنية والهرطوقية عن النفس، ولا يبني منظومة عن علم النفس المسيحي. فهو يستفيد من الفلسفة القديمة، والتي أحيانًا يتفق معها، ولكنه يدين بشكل عام تعاليمها، ودائمًا ما يقارنها بما كشفه الله في عبقرية خليقته الأرضية؛ أي النفس البشرية)) ترتليانوس، عن النفس ترجمة عادل زكري، مدرسة الإسكندرية، ط1، القاهرة، 2021، ص26

أنَّه إفراط بأهمية الفلسفة لا يضعون الفلسفة واللاهوت في جوهر التناقض والتضاد، بل لا يعتقدون أنَّ أيا من العقائد المسيحية تستحق الاعتقاد وهي لا تتطابق ومعطيات العقل والعقلانية (جلسون، 2009، ص63) فضلا عن إمكان التفكير الفلسفي وتأويله وفهمه بواسطة العقل الفلسفي السليم، كي لا تكون هذه النتائج غير مفاجئة، وذلك لان اركان العقيدة المسيحية تدعي أنَّ الله هو مصدر وقمة العقلانية بل إنَّ العقل البشري هو أحد أعظم هبات الله.

وإنَّ الخلاف الناشئ عند مفكري المسيحية عن الضرورة التي أحدثته الخطيئة والنزول أو السقوط في اتلاف مقاصد العقل البشري فضلاً عن أنَّ حقائق العقيدة المسيحية تتضاد مع نتائج العقل الصحيح كون العقل البشري بعيدا عن تقاليد اللاهوت العقدي، وهذا الرأي ذهب اليه قلة من المفكرين المسيحيين – البروتستناتية (الاصلاحيون)– بل إنَّ الموقف الأكثر انتشارا وذياعا أنَّ بعض الحقائق اللاهوتية لا يستطيع العقل الفلسفي أو الفلسفة أدراكها، لأنَّها تتعدى قدرة العقل البشري وعلى هذا المنوال، حينما يكون التعارض والتنازع والاستنتاج الفلسفي مع الحقيقة المسيحية هو التعامل مع التنازع على أنَّ الفلسفة قد تخطت الحدود المسموحة وتجاوزت حدودها المعروفة ولا يعني أنَّ الحقيقة المسيحية تتجاوز بالفعل مع العقل الإنساني، ويعبر الرأي الاخير عن موقف اشد نقاد الفلسفة المسيحية الذين تبنوا التصنيف من هذا الرأي.

الخاتمة

- يظهر أنَّ نظرية الصراع بين الفلسفة واللاهوت لم تكن القراءة الأبرز في الفكر المسيحي الا أنَّها كانت الأشهر، وفي المقابل وجدنا الكثير من النماذج المتعاونة والمندمجة بما شكّل هوية (اللاهوت).
- إنَّ نموذج الاتمام يُعدّ من أكثر الفرضيات المهيمنة على الكثير من مفكري المسيحية (اللاهوتيين) الذين استعانوا بالفلسفة والثقافة اليونانية في اظهار مباحثهم العقدية ولا سيما في الحقبة المبكرة من القرون الأولى.
- مثّل نموذج التمايز بين الفلسفة واللاهوت مؤشراً لتحولات معرفية واستقلالاً واضحاً، بيد أنَّ الكثير من اللاهوتيين لم يتخلوا عن المعارف الفلسفية اتجاه الأسئلة الإلهية (الميتافيزيقا) وحتى

الطبيعية، نظرا إلى أنَّ العقل المسيحي قد تشكل بفعل الوعي اليوناني (الفلسفة) وارتبط بسلطة الوحي وأنتج ثقافة تُعرف بالفلسفة المسيحية.

- إنَّ التحولات التي صاحبت مواقف اللاهوت الإصلاحي (البروتستانتي) لم تغلق الباب أمام الفلسفة بنحو نهائي، على الرغم من موقفهم إزاء صلاحية قدرة العقل التي تحول دون الوصول إلى معارف كاملة بسبب ما مُني به من فساد جراء الخطيئة الأولى، لكنهم لم يرفضوها بنحو كامل.

قائمة المصادر والمراجع

الكتاب المقدس

- ابراهيم، عبدالله، المركزية الغربية اشكالية التكون والتمركز حول الذات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 2003.
- ابو العلا، وهبه طلعت، جذور إلحادية في مذاهب لاهوتية بول تلش، مكتبة مدبولي، ط2، مصر، 1997.
- الاكويني، توما، الخلاصة اللاهوتية، ترجمة: بولس عواد، دار ومكتبة ببيليون، جبيل_لبنان،2019.
- الاكويني، توما، مجموعة الرد على الخوارج (فلاسفة المسلمين)، ترجمة نعمة الله ابي كرم الماروني، دار ومكتبة بيبليون، بلا ط، بيروت، 2019.
- بدوي، عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، منشورات ذوي القربى، ط1، قم، 1427هـ.
- بسترس، كيرلس سليم، واخرون، تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، منشورات المكتبة البولسية، ط1، بيروت، 2001.
- بيترسون، مايكل، العقل والمعتقد الديني مدخل إلى فلسفة الدين، ترجمة: زهراء طاهر، مراجعة عبدالجبار الرفاعي، مركز دراسات فلسفة الدين، ط1، بغداد، 2019.
- تدهندرتش، دليل أكسفورد في الفلسفة، ترجمة، نجيب الحصادي، مراجعة، منير الطيباوي، هيئة البحرين للثقافة والاثار، ط1، المنامة، 2021.
- ترتليانوس، عن النفس ترجمة عادل زكري، مدرسة الإسكندرية، ط1، القاهرة، 2021.
- تلش، بول، تاريخ الفكر المسيحي من الجذور الهلينستية واليهودية حتى الوجودية، ترجمة وهبة طلعت ابو العلا، مركز جامعة القاهرة للغات والترجمة، ط1، مصر، 2012.
- تورانس، توماس.ف، الإيمان بالثالوث، ترجمة عماد موريس اسكندر، مراجعة جوزيف موريس فلتس، مركز بناريون للتراث الآبائي، ط3، مصر، 2017.
- جلسون، اتين، الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة امام عبدالفتاح امام، دار التنوير، ط3، بيروت، 2009.
- جورج، أثناسيوس فهمي، العلامة ترتليان، من آباء أفريقيا، ترجمة وإعداد: أنطون فهمي جورج، مطبعة الأنبا رويس (الأوفست)، ط1، القاهرة، 1994.
- جوزيف موريس فلتس، مركز بناريون للتراث الآبائي، ط3، مصر 2022.

- جيلسبي، مايكل ألين، الجذور اللاهوتية للحداثة، ترجمة فيصل بن احمد الفرهود، جداول، ط2، بيروت، 2019.
- دعاّل، عبدالإله، الدين في الفكر الفلسفي والاجتماعي الحديث، منتدى المعارف، ط1، بيروت، 2022.
- الدومنيكاني، جوستافو جوتييرث، لاهوت التحرير، ترجمة جان رزق الله، جون جبرائيل الدومنيكاني، دار الاكويني، ط1، القاهرة، 2016.
- سلامة، محمد سيد، مدخل إلى إبستمولوجيا الدين، نماء للبحوث والدراسات، ط2، بيروت، 2022.
- ضاهر، عادل، الفلسفة والمسألة الدينية، دار نلسن، ط1 بيروت ، 2008.
- طرابيشي جورج، مصائر الفلسفة، دار الساقي، ط1، بيروت، 1998.
- عطيتو، حربي عباس، ملامح الفكر الفلسفي والديني في مدرسة الاسكندرية القديمة. تقديم علي عبدالمعطي، دار العلوم العربية، ط" بيروت، 1992.
- غريش، جان، العوسج الملتهب وانوار العقل ابتكار فلسفة الدين، ترجمة: محمد علي مقلد، مراجعة مشير باسيل عون، دار الكتاب الجديد، ط1، بيروت، 2020.
- كالفن، جون، اسس الدين المسيحي، ترجمة اديب عوض واخرون، تحرير وتقديم: جورج صبرا، دار منهل الحياة، ط1، بيروت، 2017.
- كميليف، يوري اناتوليفيتش، فلسفة الدين الغربية المعاصرة، ترجمة هيثم صعب ، وزارة الثقافة السورية للكتاب، ب ط، بلا ت.
- كيلي ، جيمس، الله والدماغ عقلانية الاعتقاد، ترجمة محمد سيد سلامة، دار الروافد الثقافية –ناشرون، ط1، بيروت، 2022.
- مديوني، معز، ترتوليانوس والمنقلب الهرمنوطيقي القديم، منشورات الجمل، ط1، بيروت، 2018.
- يوستينوس، الدفاع والحوار مع تريفون اليهودي ونصوص أخرى، ضمن النصوص المسيحية في العصور الاولى، ترجمة: آمال فؤاد، مراجعة مجموعة من المرجعين، دار باناريون، ط1، مصر، 2012.
- لاغريه، جاكلين، الدين الطبيعي، ترجمة منصور القاضي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1993.
- مارسيل، غبريال، من الرأي إلى الإيمان، ترجمة: قزيحا خوري، منشورات عويدات، ط1، 1988.
- soren Kierkegaard,Training in Christianity, princenton,New York Princeton University press, .1944